الصناعة القاموسية [1]

د. أمينة اليملاحي
جامعة محمد الخامس بالرباط، معهد الدراسات
والأبحاث للتعريب

تقديم

تعد الصناعة القاموسية إلى جانب الترجمة من بين السبل الناجعة إلى تحقيق التنمية وولوج مجتمع المعرفة، مما يجعلنا كباحثين ومهتمين بالمجال اللغوي، أكثر من أي وقت مضى، في حاجة ماسة إلى المصطلحات العلمية وكذلك المعاجم الحديثة، والعمل على النهوض بالترجمة وصناعة القاموس باعتبارها أدوات وأساس البحث العلمي والابتكار وولوج مجتمع المعرفة، والدليل على ما نقول هو أن اللغة هي مفتاح العلوم، يقول صاحب الغني الزاهر في هذا الصدد: «وهذا ما يكشفه تاريخ الثقافة العربية بكل تفرعاتها، وعلى الرغم من التفاوت بمدى وعي الترجمة من عصر لآخر، تحت عوامل مراحل الازدهار أو الانحطاط، فإن ما تمت ترجمته، أدى بالضرورة إلى الاتصال بتراث الثقافات الأخرى، فارسية ويونانية وسريانية، اتصال كان له أبلغ الأثر في الإنتاج الفكري والعقلي والعلمي، حيث شكلت الترجمات العربية جسراً، لكي يطور الفكر الغربي رؤيته للأشياء في القرون الوسطى، وهذا التداخل بين الثقافات والاحتكاك بروافدها والأخذ بترجماتها، ساعد على الخلق والإبداع، وتطوير الذات العالمة في سياق تطور المجتمعات الإنسانية في كلياتها. وعندما نستقصي أثر الترجمة بالنسبة لكل الحضارات البشرية نجدها قد أسهمت إسهاماً بالغاً في رقيها، والتمكن من ازدهارها، ومدها بعوامل التلاقح والاتصال.» [2]

(1) نعتمد في هذا العرض على جزء مهم من اليملاحي (2023 .
(2) نستلهم بعض أفكار رائد المعجماتية العربية الحديثة ا الدكتور عبد الغني أبو العزم المحتفى به .

لقد أشرنا سابقا إلى أن اللغة لها دور حاسم في اكتساب المعارف وفي عملية التواصل، فضلا عن أهمية علم المصطلحية في تنمية اللغة العربية ومعجمها، وبالتالي تلبية حاجاتنا إلى المصطلحات التي تنسجم والنسق اللغوي العربي، حتى تكون مسوغة أي غير غريبة ولا شاذة، أي الانطلاق من خطة لغوية فاعلة باتباع منهجية محددة وفق نظرية معجمية على غرار معجم لاروس وأوكسفورد، و The Word Publishing Company في الولايات المتحدة، تستجيب لأهداف وتوجهات معينة.

ومن المهم أن نؤكد على أزمة المصطلحات بسبب «غياب المصطلح العلمي أو الأدبي باعتباره أداة لفهم الجهاز المصطلحي في سياقه المعرفي» تشكل هذه الأزمة بحسب صاحب الغني الزاهر، «عائقاً أمام وصف الظواهر المتحدث عنها في مجال الترجمة، وأي التباس فيما يتعلق بمفاهيمه نجده يمس حتماً بالمعاني والدلالات مما يخلق غموضاً بالضرورة إلى المفهوم.

مما جعل الأستاذ -على حد تعبيره- يعيد طرح السؤال من جديد بشكل بدهي مفسرا أن وضع المصطلح لتجنب الاضطراب أو الالتباس فيما يتعلق بتحديد دلالته المفهومية، سواء أكان توليدياً أم اشتقاقياً أم مقترضاً، يستوجب إيجاد إستراتيجية جديدة في ضوء ما أنجز من أعمال مصطلحية داخل المجامع اللغوية ومنظمة الألكسو، ومكتب تنسيق التعريب، من أجل توحيد الجهود في ميدان العمل المصطلحي، وضمن خطة مشتركة شاملة يساهم فيها باحثون من ذوي الاختصاص، وهذا التوجه يرى الأستاذ أن لا أفق له إلا من خلال تأسيس بنك عربي خاص بالمصطلحات العلمية في شتى فروع المعارف، بعد خضوعه للمعايير العلمية، وبالتحديد ما يعرف بالتقييس والتداول، لتجاوز الفوضى المشار إليها في السؤال، على قاعدة خطة عملية تنتقل إلى التطبيق والتنفيذ، ومن شأن مادة البنك المصطلحي أن تدخل إلى حيز المحتوى العربي ليسهل تداولها وإشاعتها بين الباحثين والمترجمين.

الأمر الذي سيشكل مدخلا لتحقيق نهضة من شأنها أن تساعد حتماً على تأليف معاجم ثنائية اللغة متطورة، ومعاجم مختصة ملمة بدلالات المصطلحات العلمية، وما استجد منها مما يعطي للترجمة قيمة مضافة.

1. مقدمات المعاجم

• سنقف على التعاريف التي صاغها العلامة الدكتور عبد الغني أبو العزم لإبراز أهمية مقدمة المعاجم باعتبارها مفتاح المعجم سواء كان ورقيا أو إلكترونيا، وبالتالي مدخلا أساسيا يسهل مأمورية القارئ والمنتفع من المعجم. وسأنطلق من افتراض مفاده أن غياب المقدمة في العديد من المعاجم العربية المختصة يرجع أساسا إلى طبيعة هذه المعاجم التي لا تعتمد في غالبيتها على منهجية معجمية حديثة؛ فهي بعيدة كل البعد عن مقدمات المعاجم الغربية التي تنطلق من منهجية محددة تقوم بتوضيح المعلومات بلغة واصفة، ولهذا تعددت أنواع المعاجم قديما وحديثا.

ونبين أن شرط التمثيلية الذي يجب أن يتوفر في الصنافة لا يعني التوسع في المعلومات بالشكل الذي يفترض أن يتحقق في الموسوعة. فالمعجم عكس الموسوعة، لا يتضمن أسماء الأعلام الخاصة بالأشخاص، والأماكن الجغرافية، مثل البلدان والجبال والأنهار والوديان، وأعياد، ووقائع حربية، وأعمال فنية وأدبية وغيرها مما يطلق عليها عادة «بالمعلومات الموسوعية»، حيث يخلو من تلك المعلومات الموسوعية التي يعدها النصراوي (2013) «من العوامل المهمة في التمييز النظري الذي يقيمه القاموسيون والدارسون بين القاموس اللغوي العام والقاموس المختص والموسوعة».[3] وفي الختام نؤكد على أن النهضة المصطلحية لن تستقيم إلا في ظل المؤسسات وبدعم رسمي على شكل أعمال جماعية باعتماد التنظير المعجمي، وهذا لا ينفي بعض الأعمال المتميزة بريادة معجميين محدثين، هم أصحاب العديد من المعاجم العامة والمختصة القيمة.

• يختص القاموس إلى جانب الكتاب المدرسي بنقل المعرفة وتبليغها؛ فهو «أداة من أدوات الحوار» أو التواصل إستنادا إلى الصنافة أو المدونة (nomenclature)، حيث تعد عملية انتقاء المادة المعجمية من أهم الخطوات المنهجية التي يجب أن يوفق فيها واضع المعجم، وهي في غاية الأهمية؛ بل تشكل إلى جانب «التعريف» ركيزة المعجم، وبالتالي يجب أن تستجيب المدونة لحاجة القارئ أو المستعمل للمعجم الذي تحكمه بعض المتغيرات مثل (السن – اللغة – المستوى الدراسي –التخصص.إلخ)، باعتبار أن

(3) يضيف النصراوي (2013)، في هذا الصدد، بأن مسألة «المعلومات الموسوعية»، من خلال تصفحه لمقدمات المعاجم، شيئ محسوم ينجلي صداه في درجة انشغال القاموس الحديث تنظيرا وتطبيقا بهذا الركن في التعريف.

المعجم من أهم الوسائل التعليمية التي تساهم في تيسير التعلمات بالنسبة لسائر الفئات العمرية، وفي جميع المراحل التعليمية التكوينية (التعليم النظامي/ غير النظامي، محو الأمية، وتعليم اللغة العربية للناطقين بغيرها، إلخ). وهنا نؤكد على أهمية التأليف القاموسي العربي الذي يقوم على أسين كبيرين هما: «الجمع» أو «إعداد الصنافة»، و«الوضع»، وهو المعالجة القاموسية التي من أهم مكوناتها؛ الترتيب والتعريف، وهذه كلها قضايا لغوية تحتاج إلى معالجات لسانية باعتماد منهج علمي وتقني . [4]

2. أنواع المعاجم

يختلف المعجم الذهني «lexical mental» عن القاموس أو المعجم «dictionary»[5]، الذي يعتبره الفاسي الفهري (1985) نظاما كبقية الأنظمة اللغوية، لأن منهج المعجم، على حد تعبيره، لا يتجه بالضرورة إلى دراسة قائمة من الكلمات ...» ويوافقه في ذلك بن مراد (2009) الذي يرى أن «القاموس امتداد للمعجم وليس هو بمستقل عنه»، مشيرا إلى المقاربة اللسانية التي بموجبها يصنف علم المعجم صنفين :علم المفردات وعلم القاموس.[6]

ولعل أول من استعمل كلمة معجم بمعناها الاصطلاحي هم المهتمون بالحديث النبوي الشريف، فقد أطلقوا كلمة معجم على الكتاب المرتب هجائيا الذي يجمع أسماء الصحابة ورواة الحديث. ووضع أبو يعلى أحمد بن علي المثنى (ت307ه) «معجم الصحابة» ووضع البغوي (ت317ه) «معجم الحديث» والملاحظ أن اللغويين القدماء لم يستعملوا لفظ معجم ولم يطلقوه على مجموعاتهم اللغوية، وإنما كانوا يختارون لكل منها اسما خاصا به فهذا «العين» وذاك «الجمهرة».[7]

قبل الحديث عن أنواع المعاجم، لابد من الوقوف عند كلمة (المعجم)، حيث يعرفه القاسمي (1999) «بأنه كتاب يحتوي على مفردات لغوية مختارة مرتبة ألفبائيا مع معلومات عن معانيها ونطقها وهجائها، إلخ، باللغة نفسها أو بلغة أخرى».[8]

(4) لمزيد من التفاصيل الفاسي الفهري (1985) وبن مراد (2013) وغيرهم .
(5) لمزيد من التفصيل انظر بن مراد (2009) من ص. 51 إلى 75.
(6) نفسه.
(7) انظر سوهيلة دريوش (2011)..
(8) للتفاصيل، انظر القاسمي (1999)، ص.201 إلى 208.

ويضيف أن كلمة معجم قد عرفت نوعا من التوسع الدلالي، مبينا في هذا الصدد أهمية عنصر الشكل بقوله «إن الخصيصة المميزة الرئيسة للمعجم انتقلت من المضمون إلى الشكل، ولم تعد الخصيصة متمثلة في المعلومات التي يقدمها المصنف وإنما في النظام الذي ترتب فيه تلك المعلومات لمساعدة القارئ على الوصول إليها بيسر وبأقصر وقت».[9]

ونظرا لكثرة المعاجم واختلافها باختلاف موضوعاتها ولغاتها وحجمها أصبح «من الضروري إيجاد تصنيف لها».[10] وسنعتمد هنا على التصنيفات التالية الواردة عند القاسمي (2006)،

«أ- تصنيف اللغوي الروسي ششربا» (1940):

1 - المعجم المعياري والمعجم الوصفي؛

2 - الموسوعة والمعجم؛

3 - المعجم الاعتيادي والفهرس الأبجدي العام ؛

4 - المعجم الاعتيادي ومعجم الأفكار والمعاني؛

5 - معجم التعاريف (أحادي اللغة ومعجم الترجمات (ثنائي اللغة) ؛

6 - المعجم التاريخي والمعجم غير التاريخي (التزامني) ؛

ب- تصنيف اللغوي الأمريكي مالكيل (1959):

اعتمد مالكيل ثلاثة معايير في تصنيفه لمعاجم إسبانية وهي : المدى، والمنظورية، والعرض.

1 - بالنسبة للتصنيف طبقا للمدى، صنف المعاجم طبقا لكثافة مداخلها وعدد اللغات المستعملة فيها واشتمالها على أسماء الأعلام.

2 - ومن حيث التصنيف طبقا للمنظورية، صنفت المعاجم طبقا لبعدها الزمني (تاريخي أو تزامني)، ولترتيبها ألفبائي، أو معنوي، أو عشوائي، ولأسلوبها (تعليمي أو موضوعي).

(9) للتفاصيل انظر القاسمي (2006)، ص.239 - 256.
(10) نفسه.

3 - ومن حيث التصنيف طبقا للعرض صنف مالكيل المعاجم في ضوء تعاريفها وشواهدها وصورها ورسومها التوضيحية والمعلومات الأخرى التي تتوفر عليها كطريقة التلفظ.

4 - وفي مايخص المعاجم العربية فقد صنفها إلى صنفين معاجم الألفاظ ومعاجم المعاني.

- نتساءل إلى أي حد يمكن اعتبار المعاجم العربية عصرية ؟

- ماهي الشروط الأساسية أو المواصفات العامة التي يجب توفرها في معجم عربي مختص ؟

قبل الإجابة عن هذين السؤالين الملحين، نرى أنه من الضروري التأكيد على دور التعريب بمفهوميه الشمولي والخاص في تطوير الصناعة المعجمية، باعتبار التعريب قضية قديمة وجديدة في آن واحد.[11]

3. علم المصطلحية

يعنى علم «المصطلحية» كتخطيط محكم يتبناه اللساني المؤهل بفضل درايته العميقة للضوابط والقواعد التي تحكم عملية تكوين المصطلح، ونشير هنا إلى كون اللساني يحتاج إلى المختص في قطاع معين خاصة أثناء توليد المصطلحات التقنية، فالمصطلح لفظة أو كلمة تأخذ معنى محددا وصيغة محددة في لغات الاختصاص. و يعود الفضل للخوارزمي في إرساء دعائم الصناعة المعجمية المتخصصة في التراث العربي.[12]

ويشمل علم المصطلحية مجالين: المجال الأول؛ هو علم المصطلح الذي يختص بالجانب النظري، والثاني هو صناعة المصطلح التي تهتم بالجانب العملي.

(11) التعريب بمفهومه الشمولي هو «الذي تدخل فيه الترجمة من اللغات الأجنبية إلى اللغة العربية؛ أي التعريب الذي يهدف جعل اللغة العربية لغة الحياة العامة؛ لغة التفكير والتعليم والاقتصاد والصحافة»ويكون التعريب الخاص باستخدام العرب ألفاظا أعجمية على طريقتهم في النطق واللفظ والأسلوب، و يعرف المعجم الوسيط «التعريب بأنه صبغ الكلمة بصبغة عربية عند نقلها بلفظها الأجنبي إلى اللغة العربية»، والذي نعتبره من أهم الآليات الكفيلة بتنمية اللغة العربية وإغنائها.للتفاصيل انظر الفاسي (1996).

(12) انظر مفاتيح العلوم.

يعرف حجازي المصطلح بأنه «كلمة لها في اللغة المتخصصة معنى محدد وصيغة محددة، وعندما يظهر في اللغة العادية يشعر المرئ أن هذه الكلمة تنتمي إلى مجال محدد».

بينما تعد المنظمة العربية للتقييس ISO (*ISO* 1087 ,1990) المصطلحات كمادة علمية «بوصفها دراسة علمية للمفاهيم والمصطلحات المستعملة في لغات الاختصاصات». [13]

ونسجل الضرورة الملحة إلى المصطلحات العلمية الجديدة؛ نظرا للنقص الكبير الحاصل في الأرصدة المصطلحية بالمغرب والوطن العربي على العموم. بالرغم من المجهودات المبذولة في هذا المجال وفي مجال الترجمة التي تختلف عن التعريب بالرغم من «العلاقة الحميمية» بينهما على حد تعبير أبو العزم (1999). فالترجمة وحدها غير كافية لمواجهة، بل مواكبة التدفق الهائل للمفردات الأجنبية؛ إذن ماهي الأسباب في عدم توفير قواعد المعطيات DataBase أو بنوك المصطلحات الآلية لمواجهة مشكل فقر المصطلح العلمي العربي بصورة عامة ؟

نحتاج أكثر من أي وقت مضى إلى مشاريع كبرى تخص عملية إعداد المعاجم وفق منهجية علمية، نظرا للقيمة التي تحظى بها المعاجم العامة أو المختصة باعتبارها من أهم الوسائل التربوية والفكرية الداعمة لخطة التعريب، وتنمية متن اللغة العربية بالانفتاح على باقي الثقافات الأخرى، عبر تشجيع ودعم الأطر المكونة في مجالي الترجمة والتعريب في ظل المؤسسات التي تعنى باللغة العربية، حيث نجد الإيسيسكو، ومكتب تنسيق التعريب التابع للألكسو (المنظمة العربية للتربية والثقافة والعلوم)، ومعهد الدراسات والأبحاث للتعريب (جامعة محمد الخامس بالرباط)، وأكاديمية محمد السادس للغة العربية إلى جانب المراكز المتخصصة في تهييء المصطلحات والمفاهيم العلمية كالمجامع اللغوية ليتمكن الباحثون المغاربة من استثمار خبراتهم اللسانية الأكاديمية والتطبيقية.[14]

(13) الاصطلاح كتخطيط يتبناه اللساني المؤهل بفضل درايته العميقة للضوابط والقواعد التي تحكم عملية تكوين المصطلح.

(14) في ما يخص إنشاء أكاديمية محمد السادس للغة العربية، انظر الدستور المغربي والجريدة الرسمية، عدد 5126، يوليو 2003، وعدد 6870 ؛ 2 أبريل2020.

1.3. الترجمة والاصطلاح

تقتضي عملية الترجمة من اللغة المصدر إلى اللغة الهدف خضوع هذه المفردات المترجمة أو الدخيلة إلى نسق اللغة الهدف، فإدماج مصطلحات علمية في النسق العربي مثلا يستوجب منحها خصائص هذا النسق، لأن الاقتراض كظاهرة لغوية عالمية تعرفها جميع اللغات، ولا يستقيم في غياب التخطيط المحكم، بل يجب توفير الشروط العلمية اللازمة.

ولعل التعريب من أهم الأدوات التي من شأنها تنظيم الترجمة والاصطلاح، ومن أساسيات وضع شروط هذا التنظيم؛ القيام بالتنمية اللغوية عبر استثمار الإرث العربي في هذا المجال، وتأصيل العمل الفكري العربي، دأبا على منهاج العلماء العرب الذين أخلصوا وتجندوا، لخدمة لغتهم في جميع جوانبها، (علوم النحو والصرف والبلاغة والعروض ومصطلح الحديث والقراءات والتفسير).[15] وخير شاهد على ذلك تنوع المجالات التي اهتم بها «العرب مبكرا، فبدأ عملهم اللغوي المعجمي بوضع المعجم على نمط خاص في الترتيب ليرجع إليه من أراد البحث عن الكلمات ومعانيها. في تهذيب الأنساب، ومعجم ألفاظ القرآن الكريم والحديث الشريف وغيرها»،[16] فضلا عن الإسهامات الجادة للمعجميين المحدثين التي بالرغم من قيمتها وجودتها تبقى غير كافية.[17]

4. المعجم العربي العصري

بتتبعنا لوضع المعاجم العربية الحديثة، وماكتبه اللسانيون المحدثون من دراسات بخصوص مشكل المعجم العربي والمصطلح العلمي، يمكن القول بأن جل القاموسيين والدارسين يجمعون على كون المعجم العربي يحتاج إلى التحديث في جانبيه الأساسيين وهما: الجمع والوضع باعتبارهما أول مرحلة يجب أن ينطلق منها المعجمي.

---

(15) انظر في هذا الصدد عصام (2003).

(16) للتفاصيل انظر محيي الدين صابر - المدير العام الأسبق للمنظمة العربية للتربية والثقافة والعلوم -.من خلال تقديمه لمعجم المحيط/تأليف / أديب اللجمي - شحادة الخوري والبشير بن سلامة وعبد اللطيف عب - نبيلة الرزاز، المراجعة والتنسيق - أديب اللجمي - نبيلة الرزاز .

(17) يرى غاليم (1987) أن -جهود اللاحقين عموما، قد اقتصر- على تنظيم ما جمعه أسلافهم، ولم يحاولوا تدوين ملاحظاتهم على الفروق بين لغة البدو في القرون الأولى، ولغة معاصريهم، [...] واتجهت عناية المعجميين إلى انتقاء «فصيح» «اللغة وصحيحها»، وذلك واضح في المعاجم التي صنفت بعد الخليل وابن دريد، والتي اتخذت أسماء تشير إلى تنقية اللغة من «الغريب» و«الحوشي» مثل «تهذيب اللغة» للأزهري و«الصحاح» للرازي. لمزيد من التفصيل انظر غاليم (1987) ص. 29-33.

1.4. الجمع corpus

يجب أن يكون الجمع، أو «البنية الكبرى» وفق منهجية محددة بحيث تكون الصنافة أو المدونة (nomenclature) حية و حديثة، باعتماد مادة معجمية تمثل مادة المعاجم القديمة والحديثة، بل يجب أن تتضمن ألفاظا تعكس اللغة المستعملة، وبالتالي تمثل الكفاية المعجمية لمستعملي اللغة.[18]

يرى الفاسي (2010) في هذا الصدد أنه «من المفروض أن تمثل أي صناعة معجمية عصرية ثلاث كفايات ضرورية أساسية لبلورة الأهداف من وضع المعجم وكذلك المستعمل المستهدف:

(أ) الكفاية اللغوية/المعجمية لمتكلمي اللغة ومستعمليها، التي ترتبط ضرورة بزمن أو سكرونية معينة، وباللغة المستعملة ولغة الحياة، لا لغة مهجورة مسكوكة، مع اعتماد النصوص الحية، وتوضيح مرجعيات حصر المادة.

(ب) الكفاية التعلمية، التي تمكن المستعمل من أن يكتسب كفاية القرن الملائم بين الكلمة ومعناها في (التركيب المناسب والسياق المناسب).[19]

(ج) الكفاية الوسائطية، التي تستعمل الصورة والأشكال والألوان والوسائط الإلكترونية والسمعية البصرية الجديدة ومحركات البحث، لتسهيل عمليات التعلم والتمثل والبحث».

ويضيف الفاسي (2010) أنه بالرغم من المجهودات التي تقوم بها دور النشر والمؤسسات اللغوية وبعض الأعمال في مجال الصناعة المعجمية تبقى بعيدة عن القيام بهذه الوظائف.[20]

(18) يجب الأخذ بعين الاعتبار مسألة المستويات اللغوية للمفردات أثناء جمع المتن المصطلحي، فهي تختلف بناء على معيار الفصاحة يقول بن مراد في هذا الصدد: «والمستويات اللغوية صنفان : أولهما بحسب درجة الكلمة من التعميم أو التخصيص هي إما لفظا لغويا عاما وإما أن تكون مصطلحا [...] وثاني الصنفين يكون بحسب درجة الكلمة من الفصاحة وهذا الصنف أنواع». للتفاصيل انظر بن مراد في كتابه المعجم العلمي العربي المختص ص، -69 70.

(19) للتفاصيل انظر الفاسي (2010)، ص.25-44.

(20) نفسه.

ويقر النصراوي (2013) بأن مهمة القاموس الأساسية في وصف المدونة «من خلال ماتحصل لمؤلفه من معلومات، ووثائق علمية، فيعيد تكثيفها بتحويلها إلى معلومات تأليفية موجزة، في شكل نص، قائم على لغة تحليلية شديدة الخصوصية».[21]

2.4. الوضع ordre/ order

أما «الوضع» فلا يقل أهمية عن الجمع، ويعرفه حلمي خليل «بترتيب المادة اللغوية في المعجم سواء من حيث اختيار المداخل وترتيبها، أو ترتيب الكلمات والمشتقات داخل المدخل الواحد».

يختص بهذا العمل المعقد بحسب الفاسي الفهري « الباحث في المعجمية والقاموسية كالدلالة المعجمية ودورها في سد الثغرات»، نظرا لصعوبة البحث المعجمي الحديث الذي تتداخل في مجاله الاختصاصات والحقول المعرفية؛ فالقضايا المعجمية لها إسقاطات معرفية في الصرف والتركيب والدلالة والاصطلاح» [22]، ويشكل الترتيب والتعريف ركنين أساسين بالنسبة للوضع.

1.2.4. التعريف

ويبقى ركن «التعريف» définition من أهم أركان المعاجم المختصة، والمحور الأساس في المعجم العربي الذي يظل ملتبسا على القارئ؛ مما يفرض تحقيق الجودة في تعابير التعريف، هذا ما فسره أبو العزم (2013) استنادا إلى رأي ألان ري Alain Rey الذي مفاده أن «الجودة لا تقف عند إتقان التعبير وسلامته»، وإنما تتعداه إلى وظيفة إيضاح المعرَّف، لأن المفهوم المتضمن في المفردة يظل ملتبسا على القارئ؛ فيحتاج بالضرورة إلى الإيضاح والكشف عبر التعابير الكامنة في التعريف نفسه، وبالتالي يشترط في صياغة التعريف أن تكون « بلغة واضحة بليغة «إن أمكن »، ويضيف أبو العزم مفسرا سبب تركيزه على عبارة «إن أمكن» قائلا: «معناه صفات الوضوح والبلاغة هذه يجب أن تمر بعد مقتضى ضرورة التحكم في دقة المعنى عند عملية الشرح»، معتبرا الشاهد، في هذه الحالة، تطعيما للشرح ليقدم قيمة مضافة تكسب المعجم ميزة

(21) انظر النصراوي (2013).

(22) منتصر عبد الرحيم وحافظ إسماعيلي علوي (2014).

خاصة».[23] نستشف مما سبق أن التعريف يشكل المحور الأساس للمعجم اللغوي، به يكتسب قيمته المعجمية، وهو بذلك صيغته الخاصة المتميزة، يشير الحمزاوي (2013) عن استعماله لدى «القدماء بمصطلحات مفردة وهي: الشرح والتفسير وحتى التأويل أحيانا».وهذا ما يؤكده النصراوي (2013) الذي يرى بأن التعريف يقوم على أسس منهجية محددة» ذات ركنين:

- ركن أساسي عماده ثلاثة مكونات هي: المكون الصوتي والمكون الصرفي والمكون الدلالي

- وركن مساعد كاستخدام الأمثلة والشواهد والصور والرسوم والإشارة إلى المستويات اللغوية وغيرها، وخاصة الإشارة إلى المعلومات الموسوعية. وهي من الشروط الثابتة عند القاموسيين وخاصة الغربيين.[24]

2.2.4 الخطية في المعجم وترتيب المواد

- يأخذ الترتيب نظاما معينا، حيث نجد في هذا الصدد حمزاوي (2007) يقسم الترتيب إلى ترتيب خارجي (ألفبائي / اشتقاقي)

- مدخل: مفردة مركبة- معقدة

- وترتيب داخلي:

- أ- بالاشتراك

- ب- بالتجنيس

نورد هذه الخطاطة لتفسير النص المعجمي في مستوى الوضع (الترتيب)، كما جاء عند الحمزاوي 2007.

(23) أبو العزم (2013).

(24) النصراوي (2013).ص.118.

المدخل أو العنوان		
معيجمة عامة أو مختصة	معيجمة عربية قديمة أو محدثة	معيجمة معربة أو دخيلة

(ب)الترتيب الخارجي والترتيب الداخلي		
النظام الصوتي (الخليل) بالا شتراك بالتجنيس	النظام الألفبائي (ابن فارس والزمخشر ي...) بالا شتراك بالتجنيس	النظام الموضوعي الغريب لأبي عبيد بالا شتراك بالتجنيس

تساعد الخطية «المتعلم /الباحث» عن الكلمة الجاهل لمعانيها، أو اشتقاقاتها، أو استعمالاتها، بحيث يمكن الترتيب على ربط الصلة بين الكلمة النصية الموجودة في النص والكلمة المعجمية.أي ترتيب الكلمات كما ترد في النصوص، وكذلك باحتساب الحركات (الضمة، والكسرة، والفتحة) يأخذ بعين الاعتبار توالي السواكن والحركات، س ح س ح، كما عند العروضيين أو في المعاجم الهند أوروبية. حيث نجد مثلا كلمة abaisser قبل abattre مع ضرورة ترتيبها ترتيبا ألفبائيا كما هو الشأن بالنسبة لبعض المعاجم العربية مثل (الرائد ولاروس والمعجم الأساسي).[25]

خلافا للفرنسية التي ترتب Société, dissocier, associer في مداخل مختلفة بالرغم مما لها من علاقات ترابطية. [26] ونشير هنا إلى أهمية الترتيب الألفبائي الخطي» (أي حسب نطق المداخل) وهذا ما قام به صاحب معجم الغني «تسهيلا للبحث عن الكلمة والعثور عليها بيسر ودون عناء بدءا بالمادة (أ) ثم يليها الألف فالهمزة وهكذا:

- ويعني حمزاوي (2007) «بالترتيب الخارجي الترتيب الألفبائي المعهود الاشتقاقي، أي المركز على’» (أ، ب، ت، إلخ) الذي يبدأ بالثنائي أو الثلاثي يتبعهما في نفس المدخل مايشتق منهما رباعيا وخماسيا وحتى سداسيا للمحافظة على وحدة الحقل الدلالي».

(25) نفسه.

(26) انظر حمزاوي (2007)، ص.71-81.

حيث اختار صاحب الغني الالتزام بترتيب مداخل معجمه حسب النطق بكل شجاعة وجرأة، بالابتداء بالمدة» آ « ثم يليها الألف فالهمزة على الشكل الآتي:

- آ، ا، ء، إب، إت، إث، إج، إح، إخ..[27]. تعتبر هذه الطريقة «نمطا من الأنماط الترتيبية التي عرفها المعجم العربي خلال مساراته وتطوراته، ولأن هذا النمط يؤدي من جهة، وظيفة تعليمية بماداته اللغوية، ومن جهة أخرى، وظيفة معجماتية، وكلا الوظيفتين يتم التعامل معهما بصرامة ودقة.[28]

نتساءل هل المعاجم العربية المختصة والتعليمية تلبي حاجات القراء والمنتفعين منها شكلا ومضمونا؟

5. شكل المعجم

إن اختيار شكل المعجم يرتبط أساسا بالهدف الرئيس الذي حدد لوضع المعجم؛ فمثلا شكل معجم تعليمي موجه لأطفال صغار سيختلف بالضرورة عن شكل معجم علمي متخصص قد هيئ لفائدة الباحثين والطلاب، وعليه نؤكد على أن شكل المعجم العربي مازال يحتاج إلى العناية والاهتمام تحت إشراف متخصصين في مجال الرسم والفنون، فاختيار الغلاف والصور ليست مسألة اعتباطية، وإنما عملية بيداغوجية وديداكتيكية وفنية، فمسائل مثل الحجم واللون والصور يجب أن تكون في تناسق مع الموضوعات المتضمنة في المعجم، فضلا عن الكتابة الجيدة بخط واضح مدعوم بالرسوم والأشكال التوضيحية، وتبقى الصورة مهمة جدا لأنها تجلي القارئ وتحفزه باعتبارها من أهم العناصر المساعدة للتعريف.

(27) حيث تم في معجم الغني التعامل مع الهمزة كحرف قائم الذات، ولم يخضع ترتيبها إلى موقعها فوق الواو أو الياء، وهي تأتي مباشرة بعد الألف اللينةدون فك الإدغام، بمعاملة الحرف المشدد حرفا واحدا، مثلا كلمة «دق» يبحث عنها في دق وليس في «دقق»، في حين وردت الأفعال المزيدة مثل استعمل واستخرج في ا س ت ع م ل واس تـ خ ر ج وليس في عمل وخرج مع وضع جذور الكلمات بين معقوفين سواء بالنسبة للأفعال أو الأسماء.
(28) للمزيد من التفاصيل انظر أبو العزم (2008) .

وهذه المواصفات التقنية ترتبط ارتباطا وثيقا بنوعية المعجم الذي يمكن أن يكون عاما أو مختصا وكذلك بالفئة المستهدفة منه، لأن «غالبا مايكون الحجم عاملا مهما في تصميم المعجم الورقي وبنائه؛ لذلك فإنه يعتمد على المختصرات والإشارات المرجعية بكثرة اختصارا للمساحة الورقية»[29].

(29) انظر لمزيد من التقاصيل وليد أحمد العناتي (2009). ص. 223-266.

خاتمة:

حاولنا في هذه المداخلة، التأكيد على أهمية تحديث الكتاب المدرسي والقاموس والمناهج العربية عامة، وبالتالي استثمار وتشجيع كل المبادرات التي اهتمت بمسألة النهوض باللغة العربية و بالصناعة القاموسية، لأن من مهام المعجم ووظائفه -بحسب العلامة الدكتور عبد الغني أبو العزم رائد المعجماتية العربية الحديثة وصاحب المعاجم الهامة التي توجت بصدور معجم الغني الزاهر - مواكبة تطور اللغة في مختلف المسارات، مما يجعله خاضعا للتجدد والإضافات، حيث يصبح مرآة اللغة في حلها وترحالها. ويضيف العلامة عبد الغني أبو العزم: ولهذا تعددت صفات المعجم، ؛ فهو عين اللغة وأساس بلاغتها، وصحاحها ومحكمها ومقاييسهاومهذبها وعبابها وقاموسها ولسانها ومصباحها وتاجها، وهو فوق هذا المعلم من دون معلم، والنافع والمعني والعملي والأداة البيداغوجية الساعية إلى ضبط استعمالات اللغة.»[30]

مع تثمين الإرث الحضاري العربي الإسلامي من دراسات ومعالجات قيمة، وصناعة معجمية عربية مزدهرة. ولعل هذا ما تناوله الودغيري في كتابه «القاموسية العربية الحديثة بين تنمية الفصحى وتحديث القاموس والتأريخ للمعجم»، حيث خصص الباب الثاني لوصف حصيلة الصناعة القاموسية العربية من بدايتها إلى عتبة العصر الحديث، مع إبراز أهم محطاتها ومراحلها خلال مسيرتها الطويلة، وكذلك التركيز على بعض الإشكاليات، مثل التطور اللغوي والمولد والمحدث من ألفاظ عامة ومصطلحات خاصة.[31]

وتجدر الإشارة إلى العمل الرائد لعالم اللسانيات الدكتور عبد القادر الفاسي الفهري من خلال مشاريعه العلمية اللسانية ولعل المعجم العربي البنائي التنوعي من أهمها نظرا لاعتماده على أطر نظرية لغوية حديثة ستسهم لا محال في إعادة بناء المعجم العربي على مستوى المنهج والمادة عبر تفصيح العاميات، وبالتالي الدفع بالبحث إلى مسارات جديدة.

(30) عبد الغني أبو العزم، معجم الغني الزاهر، 2013.ط.1.
(31) للتفاصيل انظر الودغيري (2019) .

وكما هو معلوم استدللنا على الدور الحاسم لعلم المصطلحية في تنمية اللغة العربية ومعجمها، وبالتالي تلبية حاجاتنا إلى المصطلحات التي تنسجم والنسق اللغوي العربي، حتى تكون مسوغة أي غير غريبة ولا شاذة، أي الانطلاق من خطة لغوية فاعلة باتباع منهجية محددة وفق نظرية معجمية على غرار معجـــم لاروس وأوكسفـورد، وThe Word Publishing Company في الولايات المتحدة، تستجيب لأهداف وتوجهات معينة، يقوم المعجميون من خلالها بجمع المفردات الخاصة بمجال من المجالات بحسب موضوع القاموس المرجو إنجازه، باعتماد العناصر الأساسية المتمثلة في الجمع والوضع كما عرفهما صاحب لسان العرب، والتي يعتبرهما حمزاوي مكونين لسانيين معجميين متلازمين لا غنى عنهما وهما، الصنافة nomenclature، التي يجب أن تضمن ألفاظا تمثل الكفاية المعجمية لمستعملي اللغة، وكذلك قدرتهم على خلق صيغ باعتبارها قوالب تمكن من توليد دلالات الكثير من الألفاظ باستعمال مثلا صيغة الرباعي «أفعل»، وفَعَّل وفاعل وصيغ الخماسي والسداسي، بشكل مطرد وفي انسجام مع طبيعة العصر ومتطلباته الحضارية والعلمية. كل هذا رهين بإقامة مشاريع لغوية كبرى وبتضافر الجهود، فمن الملاحظ «بأن المعاجم العلمية المختصة، في الغالب، ليست من وضع اللغويين المعجميين، بل هي من وضع العلماء أو المختصين؛ فهي إذن لا تشتمل على ألفاظ اللغة العامة مثل معاجم المعاني، بل على مصطلحات العلوم والفنون، ومعاجم في المصطلحات العلمية أو الفنية أو فيهما معا».[32]

(32) للتفاصيل إبراهيم بن مراد (2009) ويمكن حصر ثلاثة أنواع من أهمها معاجم النبات والطب،مؤلفات طبية ذات صبغة معجمية «وهي مؤلفات تتضمن في داخلها لوائح أو مسارد مصطلحات ومن أهمها القانون في الطب لابن سيناء، و كتاب المرشد في طب العين للغافقي الأندلسي، المهذب في الكحل المجرب لابن النفيس . وهنا نشير إلى قيمة المعجم التاريخي أبعاده الثقافية والحضارية التنموية.

وفي الختام، نؤكد على الخاصية الاشتقاقية التي تميز اللغة العربية، وما للاشتقاق بأنواعه المختلفة من دور هام في إغناء المعجم العربي. ويبقى ركن «التعريف» définition من أهم أركان المعاجم المختصة العلمية المحضة التي تتصف بالكمال، وهي معاجم غير الرسائل الصغيرة أو المسارد اللغوية من المؤلفات، والسمة الأساسية في هذه المعاجم هي الترجمة، وهي جميعها إما ثنائية اللغة أو ثلاثية اللغة أو متعددة اللغات، بل إنها باستثناء «الموسوعة في علوم الطبيعة «لإدوار غالب، قد رتبت مداخلها المعجمية على حروف المعجم الأعجمية حسب تتابع المصطلحات التي اتخذت فيها مداخل رئيسية مرجعية، بينما نزلت المصطلحات العربية فيه منزلة ثانوية.[33]

ونجد من بين آليات التطور، فضلا عن الاشتقاق والتعريب، النحت والاقتراض والمجاز الذي يحدث بالضرورة تغييرات في دلالات الألفاظ. وفي هذا الصدد نقترح اعتماد برنامج المولد الاصطلاحي الذي يتصف بالمرونة بفضل قدرته على خلق ثروة من المفردات على شكل ألفاظ جديدة، أو توسيعات جديدة للمعنى، أو ارتصافات جديدة، إلخ.[34]

(33) نفسه.

(34) أمينة اليملاحي، بعض مظاهر التوليد الدلالي في معجم الطعامة، من قضايا المعجم العربي العصري، جامعة محمد الخامس بالرباط، منشورات معهد الدراسات والأبحاث للتعريب، سلسلة تطوير اللغة العربية، رقم 4.

المراجع

- ابن مراد، إبراهيم: المعجم العلمي العربي المختص حتى منتصف القرن الحادي عشر الهجري، لبنان بيروت، دار الغرب الإسلامي ط. 1.
- ابن مراد، إبراهيم: دور التاريخ في التعريف القاموسي، مجلة المعجمية، ع.28 /29/ 2013.
- ابن مراد، إبراهيم، مجلة المعجمية، ع.28 /29/ 2013.
- أبو العزم، عبد الغني: معجم الغني الزاهر، طبعة 1، مؤسسة الغني للنشر، الرباط، المغرب، 2014.
- أبو العزم، عبد الغني: التعريف وإشكالية الشاهد في المعجم، مجلة المعجمية، ع.28 /29/ 2013.
- أبو العزم، عبد الغني:2001، معجم الغني،قرص مدمج،شركة صخر ميديا لبرامج الحاسب.
- الأخضر غزال، أحمد: 1977، المنهجية العامة للتعريب المواكب، معهد الدراسات والأبحاث للتعريب، الرباط.
- الأصفهاني، معجم مفردات ألفاظ القرآن، دار الكتاب العربي، 1972.
- أنيس، إبراهيم: 1963، دلالة الألفاظ، مكتبة الانجلو المصرية.
- الجر، الخليل . المعجم العربي الحديث، باريس، لاروس، 1987.
- حمزاوي، محمد رشاد: 1986، من قضايا المعجم العربي قديما وحديثا، دار الغرب الإسلامي.
- دريوش، سوهيلة . الفروق اللغوية قي المعاجم العربية «كتاب» الفروق في اللغة لأبي هلال العسكري أنموذجا، منشورات مخبر الممارسات اللغوية قي الجزائر، 1120.
- ريغ، دانيال. السبيل، (معجم عربي-فرنسي)، لاروس، 1983.
- زيد الخير، المبروك. «محاضرات في قضايا المعجم العربي وعلاقتها بالدرس اللساني الحديث، دار الوعي للنشر والتوزيع، 2011 .
- السائح دحماني، زكية: الفروق بين التعريف الطبيعي والتعريف الرمزي، مجلة المعجمية، ع.28 /29/ 2013.
- الشافعي، محمد، زكي، دائرة المعارف الطب والعلاج المنزلي، القاهرة، 1953.
- شرف، محمد، قاموس شرف الطبي: إنجليزي عربي، القاهرة.
- الشهابي، مصطفى، المصطلحات العلمية في اللغة العربية، دمشق، 1965.
- صخر، 1989، القاموس، إصدار إلكتروني، القاهرة.
- صخر، 2001، معجم الغني، إصدار إلكتروني، القاهرة.
- العلايلي، عبد الله، مقدمة لدرس لغة العرب وكيف تضع المعجم الجديد، المطبعة العصرية، 1938.
- الفاسي الفهري، عبد القادر: 1986، المعجم العربي، دار توبقال للنشر، الدار البيضاء.
- الفاسي الفهري، عبد القادر: 1998، المصطلح المولد، المقارنة والتخطيط في البحث اللساني العربي،

دار توبقال للنشر، الدار البيضاء.

- الفاسي الفهري، عبد القادر: 2022، المعجم العربي البنائي التنوعي، دار كنوز المعرفة.
- القاسمي، علي . علم اللغة وصناعة المعجم، ط3، مكتبة لبنان، ناشرون، بيروت، 2003.
- القاسمي، علي. تخطيط السياسة اللغوية في الوطن العربي ومكانة المصطلح الموحد، اللسان العربي، ع. 23.1983 /82.
- القاسمي، علي: 1980، المصطلحية: النظرية العامة لوضع المصطلحات وتوحيدها وتوثيقها، اللسان العربي، (مج. 16/ج. 1).
- معجم الألفاظ الزراعية: فرنسي _ عربي، القاهرة _ معهد الدراسات العربية العالمية _ جامعة الدول العربية _ ط 2: 1957.
- الغنيّ الزاهر، عبد الغني أبي العزم،4 أجزاء. مؤسسة الغني للنشر، 2013.
- المعجم الوسيط، مجمع اللغة العربية، إخراج إبراهيم مصطفى، وأحمد حسن الزيات، وحامد عبد القادر، ومحمد علي النجار، مطبعة مصر، 1960.
- النصراوي، الحبيب: المعلومات الموسوعية في التعريف القاموسي من خلال المعجم الوسيط والمعجم العربي الأساسي، مجلة المعجمية، ع.28 /29/ 2013.
- الودغيري، عبد العلي : 2019، القاموسية العربية الحديثة بين تنمية الفصحى وتحديث القاموس والتأريخ للمعجم، المركز العربي للأبحاث ودراسة السياسات.
- اليملاحي، أمينة: أسئلة اللغة بالمغرب، كتاب «لسانيات، تخطيط، معرفة، وتربية»، نشر دار كنوز المعرفة العلمية،2015 .
- اليملاحي، أمينة، بعض مظاهر التوليد الدلالي في معجم الطعامة، من قضايا المعجم العربي العصري، جامعة محمد الخامس بالرباط، منشورات معهد الدراسات والأبحاث للتعريب، سلسلة تطوير اللغة العربية، رقم 4.
- اليملاحي، أمينة : بعض الملاحظات حول المعاجم المتخصصة، ضمن أشغال الندوة الدولية في موضوع : المصطلح العلمي والصناعة المعجمية، منشورات معهد الدراسات والأبحاث للتعريب، جامعة محمد الخامس بالرباط، 2023.

- Corbeil, J.C.: 1987, Vers un aménagement linguistique comparé, dans *Politique et aménagement linguistiques,* Collection l'ordre des mots, Conseil de la langue française.
- Dubois, Jean et Claude*: Introduction à La lexicographie, le dictionnaire*, Larousse*; Paris, 1971.*